قراءة في كتاب "مسلمة الحنفي ـ قراءة في تاريخ محرّم" لصاحبه جمال علي الحلاق

فيصل علي صالح سعيد *

تعريف الكاتب ومؤلف الكتاب

شاعر وباحث من العراق ولد في مدينة الحرية الثانية في بغداد في عام (٣٠/ ٤ / ١٩٦٦م) هاجرت عائلته للسكنى في قرية الزهيرات في محافظة ديالى ، القرية التي تبعد قرابة (٩٦كم) عن العاصمة بغداد ، بقي فيها إلى عام (١٩٩٢م) حيث عاد مهاجرا إلى بغداد ليسكن في قطاع (رقم ١٠) في مدينة الثورة إلى لحظة خروجه من العراق بجواز سفر تحت اسم مستعار (جاسم لطيف جواد). أقام للفترة ما بين (٢٠٠١- ٢٠٠٥م) في جبل القصور في عمان عاصمة المملكة الأردنية . يقيم حالياً في باراماتا في سدني عاصمة ولاية نيوساوث ويلز منذ عام ٢٠٠٦م صدر له :تقدم أيها الخرف/ارتكاب في المعنى ،بغداد١٩٩٩م،قلق المنفتح :قراءة في صيرورة السؤال منشور على موقع WWW.adabfan;com ومن مؤلفاته (.فن الإصغاء للذات قراءة في قلق المنفتح ،آلهة في مطبخ التاريخ قراءة في تاريخ سورة الفاتحة، تأجيل اللذة ،بوح السرد تمارين في الإصغاء ،حريق ، تحطيم الأصنام ، ديوان القرن الأول ١٦/٧/٦٢٢-٢٣/٧/٧١٩م، طاغوت الرحيل يوتوبيا المدينة المثقفة /والأعشاب الاستطباب/ بالطريقة الصينية/. ،التباسات الحضارة /ديوان ابن زمرك الأندلسي /حديث الممانعة والحرية/ .صدر هذا الكتاب الذي نحن نتحدث عنه في عام(٢٠٠٨ م) منشورات الجمل الطبعة الأولى(2008م) فصاحبه بدأ بالتردد في الخوض في الحقائق التاريخية المسكوت عنها ويعتبرها بحد ذاتها خيانة لوجود الباحث ذاته في العالم قبل أن يكون خيانة لمنهج البحث العلمي قسم كتابه إلى قسمين الأول: قسمه في مبحثين خصص الأول، في تأسيس قاعدة منهجية لقراءة الأخبار، وكيفية استخلاص الحقيقة التاريخية .بينما الثاني ، حاول فيه قراءة الأرضية الاجتماعية والسياسية، لمنطقة اليمامة الدور الذي قامت به وأثرها في شبه جزيرة العرب من حيث الموقع والقرى وتسمية اليمامة ومن سكنها ومواسمها وعرج على بنو حنيفة وكيف كانت صورة بني

* باحث في سلك الدكتوراه في التاريخ الاجتماعي في العصر الوسيط بجامعة ابن طفيل كلية العلوم الانسانية والاجتماعية شعبة التاريخ والحضارة .

حنيفة في المتخيل الإسلامي . أما القسم الثاني في البحث فقد قسمه الكاتب إلى تسعة مباحث خصصها الباحث "الدور والفاعلية" جسده مسلمة الحنفي على الصعيد الثقافي الحنفي في شبه جزيرة العرب قبل دعوة محمد(ص) وخصص مبحث لزوجة (مسلمة متنبية بني تميم)بينما هو يسميها نبية بني تميم ،ذكر الكاتب في تأسيسه للكتاب وأن الدين متعلق على يقين خاص كبيرة هي الزوايا المحرمة في التاريخ الإسلامي فهو يذكر أن المؤسسة الإسلامية بشقيها السني والشيعي في كل زاوية من هذه الزوايا أسلوب يعتمد على القراءة الأولى التي أعلنت "انتهاء إنتاج النص المقدس في عهد الخليفة عثمان بن عفان وجمع المصحف في عهده" يعلل المؤلف سبب اختياره للبحث في هذا الوقت "لا يمكن الخروج بجديد من دائرة مغلقه يؤكد بداية الخروج منها ينبغي قراءتها من الداخل وهي محاولة لقراءة ما تم تهريبه من سيرة مسلمة الحنفي المؤلف حاول أن يثبت في هذا الكتاب أن يثبت أن مقتل مسلمة بن حبيب الحنفي(مسيلمة الكذاب في كتب التراث الإسلامي) ومطاردة أتباعه، هو محاولة عن تكريس"(الإسلام السيفي) بعد اعتباره الممثل الحقيقي " يتساءل المؤلف جمال الحلاق "وأنا أقراء في بطون أمهات الكتب ،ابن الكلبي وضع كتاب أطلق عليه "مسيلمة الكذاب وسجاح"، أو أنه كتاب "أيام بني حنيفة ، وآخر طسم، وجديس فلم يبقى منها سوى اسمها وكتاب الردة لمحمد بن إسحاق، والجاحظ"مابين النبي والمتنبئ"، مسلمة ومؤذنه ابن النواحة نقلا عن كتاب الحيوان، تحدث الكاتب في القسم الأول الحقيقة التاريخية بين القرصنة والتهريب، تسأل عن جملة من المصطلحات التي وردت في أمهات الكتب يقول كيف يمكنني قراءة التعمية في الأخبار تهريب التاريخ المسكوت عنه كيف يمكن قراءة الخبر من زاويتين متناقضتين من يقود ذلك " الناطق أو الفم الممنوع، "وجزيرة العرب كانت قبل الإسلام كانت المدن قائمة وتشكل حضوراً اجتماعياً واقتصادياً من بصرى والحيرة شمالاً إلى صنعاء وحضرموت وجنوباً اليمامة كانت تزود الجزيرة القمح (مكة مستهلكة) أي مهددة دائما بالانقراض ويمكن اعتبار عهود الإيلاف خطوط حماية لم تحديها قريش ، التعدد السكاني وهو ما تميزت به اليمامة وصنعاء لاحتياجها المستمر للأيدي العاملة الأجنبية كمتطلب زراعي ، تجار العبيد للزراعة روم وحبش ولكن هناك ميزة للعبيد الروم والفرس على الأحباش ، كانت المدينتين وهذا يجعلهم منتجين ليس للزراعة فحسب والصناعات الأخرى التداخل الديني الروحي في المعتقدات جعل من البحث من أصول الديانات هو الركن الأهم في

اللقاءات الاجتماعية ، والكتابة أصبحت الكتابة ظاهرة التحنف ،أطلق اسم استند في كتابة على مصادر الشعر الجاهلي هشيم جعيط أن النخبة دون نزاع كانت ، نحدث أيضاً عن التهريب والقرصنة للنقوش التي فيها توحيد تدل على أن الجميع الفم المقموع يواصل البوح قدر المستطاع حتى وإن جاء" هذا البوح معمى من المؤسسة الإسلامية فيه إشارة ضمنية لوقوع الحدث.عندما تقرأ الخبر على عجالة نكتشف الكيفية التي زحف بها تاريخ اليمامة فأصبح تاريخ مكة وهنا تتبين حدوث التهريب والقرصنة ، فالقرصنة حددها الكاتب ، في "قرصنة مناطقية جغرافية مكة الطائف يثرب ، اختفاء عمق التاريخ الحنفي " وكذلك التعميه "، التضبيب"، "والتجزيء " وما يختلف لجهة خوضه في حياة وممات شخصيّة عربيّة "جاهليّة" مميّزة أثارت جدلاً قبل وإبّان وبعد نزول الوحي على الرسول محمّد بن عبدالله وتعرضت للتشويه والمسخ" على يد "المؤسّسة الإسلاميّة" بشقّيها "السنّي والشيعي" ليس بدءاً بتقبيحه إسماً: "مسيلمة الكذّاب" عوض "مسلمة الحنفي" وليس انتهاء بتقبيحه أيضاً خَلقاً "قصيراً"، "شديد الصفرة "، "أخنس الأنف "،"أفطس" (البلاذري فتوح البلدان٦٢) ،وعند الواقدي "أشقر، أخنس ، ضعيف البدن " الواقدي الردة(٢٠٨-٢٠٩) وفي البداية والنهاية ابن كثير "رويجل، أصيفر، أخينس ،وصفة مشؤم يراها الكاتب مسخ فكاكا ، وذكر الكاتب قول معروف الرصافي "لقد أخرجنا شؤم مسيلمة عن صدد الكلام "(الرصافي الشخصية المحمدية ،٦٠٣) ورغم نجد أنه كما قال الكاتب نتاج عن اختلاف مناطقي وتضاد في وصف ويزره بالوسامة ورواية الطبري أكد "وكان رجلاً جسيماً وسيماً" ووحشي يقول وهو أحد المساهمين في قتل مسلمة الحنفي قال،:خرجت مع الناس فإذا رجل قائم كأنه جمل أورق ، ثائر الرأس ،فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، وضربه رجل من الأنصار على هامته (السيرة الحلبية ،٢٣/٣)وفندها من خلال قراءة متأنية فيما كتب عنه وخُلقاً من خلال توصيفه بالدمامة والفجور وأنه أحكم مذهب الكاهن العياف والساحر وصاحب الجن وزاد الجاحظ على القرشيون اتهامه "إحكامه حيل السدنة والحواء وأصحاب الزجر والخط واختبارات النجوم (الحيوان، ٣٧٠/٤) والصقوا له التهم أن حديقته تسمى "حديقة الرحمن " كما يقول الكاتب وهي بهذا نافذة ترسخ دعوى أنه تسمى بالرحمن وهو السليم جسماً ومنظراً والصحيح سلوكاً وأخلاقاً.

وسعياً من صاحب المؤلف جمال علي الحلاّق لافتتاح ثغرة في جدران شاهقة يقول أنّ التواني عن عدم الخوض في المسكوت عنه عربيّاً ـ إسلاميّاً هو عين خيانة موصوفة ليس بحقّ الباحث ومطلق باحث، تحدث المؤلف في مؤلفه هذا أيضاً عن دور اليمامة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لأنها غنية بالموارد ،وقراها هي خط، مرج القلعة ، حجر، صحار، منفوحة اليمامة(القيان والغناء،٢٢١) ،عقرباء (تاريخ الرسل والملوك/أحداث السنة،١١) ،هجر (أيام العرب/٤٣) أثافت كانت تسمى قبل الإسلام درني(القيان والغناء/٢٢١) صحار، ابن هشام/٣١٣/٤) "نطاع" واد باليمامة (أيام العرب ٢-٣)، الصمان، أرض غليظه فيها خيرات كثيرة وفيها التقى مسلمة بسجاح(الأوائل /٢٩١) ويتابع إنّما هو أيضاً خيانة موصوفة بحقّ كل منهج بحثي ومعرفي، ويضيف في مقدّمته للكتاب أنّ "المنظومة المعرفيّة" التي تستنقع باستنساخ ذاتها من طريق آليات وفي طليعتها "آليّة التحريم" إنّما هي منظومة معرفيّة بالجهل و"تأبى التغيير الاجتماعي" بإطلاق مهما كانت الحاجة ماسّة لهذا التغيير ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ويرى على "كلّ ذي عينين ولسان وشفتين" أن يقف وهو يرى وأن يتكلّم رفعاً لمظلمة وهي واحدة من كثيرات تجثم ثقيلة على صدر التاريخ العربي الإسلامي وتمنع عنه الحياة والانطلاق وصناعة حيّز كريم في فضاء كريم لمجتمع عربي لا يزال متسربلاً منذ قرون بكلّ أشكال الجمود والتخلّف والموت. لا تاريخ محدّداً لولادة مسلمة الحنفي وإن قيل أنّها سبقت ولادة عبد الله والد الرسول محمّد(ص)، وتكثر الروايات أنّه عاش طويلاً وهو أحد أحناف الجاهليّة ومنهم خالد بن سنان العبسي" خالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم بن ربيعة بن عوذ بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ولد خالد في اليمامة قبل عام الفيل بـ٥٠ سنة، وتعلم القراءة والكتابة في سن مبكرة، وانطلق يدعو قومه إلى التوحيد ونبذ الأصنام ونبذ الخمر والربا والميسر، فتولى القضاء في بني عبس، كما كان أحد أدباء العرب البارزين قبل عام الفيل، وكان يرتاد النوادي الأدبية والأسواق في اليمامة والحجاز.نسرد أقوال بعض المؤرخين زعم بعض المؤرخين والرواة أنه كان نبيًا، وأن النبي قال: (ذاك نبي ضيعه قومه) وهو حديث ضعيف، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد هذا الحديث معارض للحديث الصحيح: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبينه نبي)، وقال ابن كثير: (والأشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات»، ومن الأقوال التي ذكرت هذه الرواية: أبو عبيدة معمر بن المثني فقال: «لم يكن في بني إسماعيل

نبي غيره»، وقال ابن الأثير (وقيل كان نبيًا بصيغة التمريض)، وقال القاضي عياض: يقال: (أنه نبي من بني إسرائيل بصيغة التمريض»، وقال الزركلي: «حكيم، من أنبياء العرب في الجاهلية)، و(قس بن ساعدة، قس بن ساعدة الإيادي هو خطيب من أكبر حكماء العرب قبل الإسلام. رآه النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة يخطب الناس بسوق عكاظ وروى خطبته وعجب من حسنها وأظهر تصويبها ثم قال: (يرحم الله قسا أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده) حياته هو من بني إياد أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية كان أسقف نجران، ويقال إنه كان أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه " أما بعد " وكان يذهب إلى قيصر الروم ، زائراً، فيكرمه ويعظمه وهو معدود في المعمرين ، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل الوحي ، ورآه في عكاظ .كان يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وينتظر ظهوره ويقول: إن لله دينا خير من الدين الذي أنتم عليه. وكان النبي يترحم عليه ويقول: يحشر يوم القيامة امة واحدة.

وقيل أرثي بيت قالته العرب كان لقيس:

عليك سلام الله قيس بن عاصم .. ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليتهُ منك منة..... إذا ذكرت مثلها تملأ الفما

فما كان قيس هلكهُ هلكُ واحد .....ولكنه بنيان قوم تهدما

(الأبيات لبعدة بن الطيب) وعبد الله بن نفيل، وأميّة بن أبي الصلت ،و(صاف بن صيّاد،وصفوه بالدجال) ،ومحمّد بن عبد الله، والأعشى، والذبياني ،وغيرهم، وكانوا كلاً باجتهاده يدعو إلى عبادة "الرحمن" في اليمامة وصنعاء، مثالاً لا حصراً، وإلى عبادة "الله" في مكّة، مثالاً لا حصراً أيضاً. وقال مسلمة الحنفي(مسيلمة الكذاب كما يسميه مؤرخي التاريخ الإسلامي) في اليمامة الواقعة على خطّ القوافل من مكّة إلى موانئ الخليج بعبادة "الرحمن" وجاهر بالنبوّة واتّخذ مؤذّناً هو عبدالله بن نواحة فيؤذّن قائلاً: "أشهد أن مسلمة رسول الله" ورفع كتاباً عُرف بحسب المؤسّسة الإسلاميّة باسم "قرآن مسيلمة" ومرّة باسم "سجع مسيلمة" وتعني كلمة سجع " تكلَّم بكلام مُقفًّى غير موزون" وتعني أيضاً"سجع في الكلامِ : سجَعه ، أتى به منثورًا له فواصل كفواصِل الشِّعر مقفّى ، غير موزون منه قوله فيه: "سمع الله لمن سمع" و"هو أمات و أحيا.. وإليه المنتهى" وعنده أنّ "الرحمن" هو العالِم وهو الرحيم والمعطي والقابض والباسط والمنجّي والرازق والشاهد والملك" واتّخذ لدعوته سبيل "التأثير" منهجاً في "الانتشار" واستمال ناحية الإحساء والبحرين وقطر وصنع حضوراً

في شبه الجزيرة العربيّة، واستطاع بقدراته العالية أن يستوعب اندفاعة عسكريّة قويّة وضخمة شاءتها سجاح بنت الحارث بن سويد لإخضاع اليمامة و الرباب قبل التوجّه نحو يثرب وإخضاعها أيضاً، وكانت سجاح، وتفسير اسمها" المستقيمة" وتكنّى بأم صادر، قد جاهرت أيضاً بالنبوّة واتّخذت مؤذّناً هو (شيث بن ربعي) يؤذّن فيقول: "أشهد أنّ سجاح نبيّة الله" واستمالت الكثير من القبائل بالإضافة إلى تميم وأخوالها في تغلب وغيرهم في ربيعة وحتى استمالت بقوّة شخصيّتها أحياء من النصارى. وعملاً بمنهجه في الانتشار النابذ للسيف سأل مسلمة اجتماعاً بسجاح فأجابته إليه، ولم يصلنا من الاجتماع التاريخي بقرار من المكتبة الإسلاميّة المنتصرة في ما بعد ما دام المنتصر هو الذي يمحو وهو الذي يكتب سوى أنّ النبيّة سجاح خرجت من الاجتماع وهي تلهج بنبوّة مسلمة ثمّ لتتزوّجه، ولم تذكر المؤسّسة ذاتها أنّها تزوّجته إنّما إعجاباً بقوّة شخصيّة مسيلمة وعظيم ما سمعته منه ومرّة أخرى توحيداً للجهود المشتركة لإحداث نوعيّة في دين العرب سلماً (وهو منهج مسلمة الحنفي ذاته) كمقدّمة لإحداث "التغيير الاجتماعي" المطلوب والمنشود.

ولابد من أن الدوافع الاقتصادية جعلت الأمر محتدم على أشده، لان اليمامة من حيث خصوبة الأراضي الصالحة للزراعة في اليمامة كانت جيدة ، فكان لابد من الحاجة للعبيد كأيدي عاملة كبيرة جداُ ، واشتهرت اليمامة بإنتاج القمح وبكثرة النخيل وزراعة العنب وصناعة الثياب والسيوف، وامتاز مجتمع اليمامة بأنه مجتمع مستقر حضري ، مجتمع ريفي تجاوز مرحلة البداوة مثل وقد ذكر في قرآن مسلمة" ولقد فُضُلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر "، تميز أيضاً مجتمع اليمامة أنه مجتمع منتج ،لأن اليمامة هي التي تصدر القمح إلى العرب والسيوف وخيول وثياب ،فمثل هكذا مجتمع مستقراً ، ولوجود الكعبة في مكة لكنها مجتمع مستهلك غير منتج لقلة الأراضي الصالحة للزراعة والمزروعة ، الأمان الاقتصادي والهاجس الاقتصادي حاضراً بمعنى أن الأمان الاقتصادي متوفر في اليمامة "مجتمع منتج ولديه فائض إنتاج " لكنه شكل عبئاً ثقيلاً على المستهلك "مجتمع مكة " لان المجتمع المنتج دائماً قادراً على تهديد المجتمع المستهلك، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً . الاختلاف في جزئية الأمان الاقتصادي كان سبب في الاختلاف لاحقاً بين دعاة الحنيفية في مكة واليمامة ، وهذا جعل أهل مكة ينظرون دائما إلى اليمامة كتهديد مستمر لأمنهم الاقتصادي فحسب بل كانوا قلقين جداً أمام سعة وتعدد وانتشار عبادة الرحمن التي كانت اليمامة مركزا لا يقل حضورا عن مكة وصنعاء. تحدث صاحب المؤلف عن اسم اليمامة ومن سكنها اسمها "جو" وأول من سكنها "جديس "،

وكانت لهم مواسم في كل عام ينعقد في بمدينة حجر في العاشر من المحرم إلى نهاية الشهر هم أهل اليمامة وسكنها "بنو حنيفة" ذكر بن حزم أن بني حنيفة هم أهل اليمامة هم أصحاب نخل وزرع وانفرد بنو حنيفة قبل الإسلام باتخاذهم إلاهاً من حيس وتمر تخلط بسمن و أقط "الأقط:- لبن محمض يُبرد ويُجمد حتى يستحجر ويٌطبخ أو يُطبخ به" فعبدوه دهراً طويلاً ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه. وفي هذا إشارة إلى عبادة الأوثان التي كانت منتشرة في جزيرة العرب. تحدث الكاتب جمال الحلاق في كتبه هذا عن صورة بني حنيفة في المخيال الإسلامي ، من خلال متابعة النص في هذا المؤلف نجده تحدث عن رسالة أبي بكر لخالد بن الوليد " واعلم بأنك لم تلق قوماً يشبهون بني حنيفة في البأس والشدة " وورد عن رافع بن خديج الأنصاري أنه قال : والله لقد كنا نقرأ هذه الآية " قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أُولي بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون (١٦سورة الفتح)"فلم نعلم من هم حتى دعانا أبوبكر لقتال بني حنيفة، فلما قاتلناهم علمنا أنهم أولو بأس شديد .تحدث المؤلف في مؤلفه عن رجال اليمامة وما قاله تطرق للحوار الذي دار بين محمد و هوذة وتحدث عن عراف اليمامة وما قاله الأعشى في مسلمة الحنفي الغريب في الأمر أنه لم يذكر مسلمة في ديوان الأعشى وزيارة الأعشى لعبهلة بن كعب العنسي، وزيارة الأعشى لمحمد بن عبد الله (ص).

ويذكر التاريخ " المخفي أو المُهرّب " أنّ مسلمة الداعي إلى عبادة "الرحمن" التقى في دعوته متنفذين لبعض أطياف الحنفاء القائلين بالدعوة إلى توحيد "الله" وهم في طريقهم بقوافلهم من المثلّث الجغرافي "مكّة، الطائف ويثرب" إلى أسواق وموانئ الخليج، وذاته ـ مسيلمة ـ قصد أسواق شبه الجزيرة "الجاهليّة" المشهورة ومنها "الأبله و لقة و الأنبار والحيرة (شمالي الجزيرة) وعكاظ (جنوبها) حيث احتكاك الأفكار واستعراض النبوءات والتقاء الأعلام، وتذكر كتب الأخبار أنّ مسلمة التقى النبي محمّد بن عبد الله (ص)في مكّة، وهناك إشارات إلى لقاءات جرت في أكثر من مكان، وعرض مسيلمة التحالف. وذكر الحلبي أن محمّداً حين التقى مسلمة "عامله معاملة الإكرام على عادته في الائتلاف" وعندما أدخل الرسول محمد (ص) إلى "منظومته المعرفيّة" اسم "الرحمن" اتّهمته قريش بالتلمذة على مسلمة الحنفي من اليمامة المنافسة لمكّة مناطقيّاً بغناها ولا تزال بالعيون والآبار ومختلف موارد المياه "وأكثر نخيلاً من الحجاز وبكونها مجتمع مستقرّ تجاوز البداوة وتصدّر للعرب القمح والسيوف والخيول وأنواع الثياب فيما مكّة قلقة غير ذات زرع" وفي قرآن مسلمة :"ولقد فُضّلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر". وعندما هاجر الرسول إلى يثرب كان حقّاً على تحالف مع مسلمة وغيره من دعاة الرحمن، وجوهر هذا التحالف تكشف عنه الآية "أدعوا لله أو أدعوا للرحمن" التي تؤكّد

أن الدعوة إلى الله هي ذاتها الدعوة إلى الرحمن وأنّهما يندرجان ضمن مفهوم التوحيد "الذي تمّ تأثيثه على يد أقطاب الجيل الأوّل من الأحناف" مثل قيس وخالد وورقة وزيد وغيرهم. وينشد المؤلّف جمال علي الحلاّق مناشد "التصريح لا الإشارة والتلميح" منهجاً لرفع التشويه عن مسلمة الذي كانت له فاعليته وحضوره الكبيرين في شبه جزيرة العرب لأكثر من خمسين عاماً، وقد أنتجه في مؤلفه هذا"مسلمة الحنفي قراءة في تاريخ محرم" ويصرّح أنّه "ثمّة من يدسّ في تضاريس العالم تجاعيده الخاصّة ويصرّ على أنّها تجاعيد العالم". وعندما يتعرّض تاريخ شخص مثل مسلمة الحنفي للتحريم "فإنّ ما يتبقّى منه لن يتعدّى بقايا نتف تمرّ عبر آليّة التشويه المتعمّد.. ويظلّ البحث في المتاح والممكن" لا غير "تحت ثقل الرقابة وقسوتها" حتى انقلب مسلمة إلى "حشرة". وقد ذكر البلاذري أنّ مسلمة كان "قصيراً، شديد الصفرة، أخنس الأنف، أفطس". وذكره الطبري بالتصغير أنّه: "رويجل" تصغير رجل" أصيغر، أخينس" وجعله نذير شؤم لما حلّ ببني حنيفة من قتل وسبي بسببه، فيما يذكر وحشي، كما في السيرة الحلبيّة، وهو قاتل مسلمة: ".. فإذا رجل قائم "مسلمة" كأنّه جمل أورق ثائر الرأس" حتى يقول "رميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الأنصار على هامته" وقوله أنّه "رجل" ينفي ذلك عن مسلمة أنّه "رويجل" كما عند الطبري وقوله أنّه "قائم كأنّه جمل أورق" ينفي عنه صفة ضعف البدن على مقالة الواقدي ولا تجعله قصيراً بتوصيف البلاذري وأيضاً قوله "كأنّه جمل أورق" فذلك ينفي الصفرة أو شدّتها فيه فالأورق هو الأحمر وهكذا فإنّ مسلمة "رجل قائم كأنّه جمل أورق، ثائر الرأس" والصورة بمجملها تؤكّد "حيويّة ونشاط مسلمة لحظة مقتله". وإذا وقع التصحيف بأنّ مسلمة "أجهس" ولا معنى لهذه الكلمة وليس "أجهر" ومعناها أنّه جميل المنظر والجسم تبنّت المؤسّسة الإسلاميّة أنّه "أجهس" تكريساً للتلاعب، ومثالاً على هذا النهج وبوجه ما كان في ما بعد وكما ورد في مصادر الشعر العربي فإنّ خالد القسري طلب من الزهري أن يكتب له السيرة فقال له: "فإنّه يمرّ بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، فأذكره؟ " فقال له خالد: "لا، إلاّ أن تراه في قعر الجحيم". ونقل الحلاّق من تاريخ الرسل والملوك مقالة مسلمة لسجاح خلال اجتماعهما التاريخي منسوباً أنّه من قرآنه: "إنّ الله خلق النساء أفراجاً، وجعل الرجال لهنّ أزواجاً، فنولج فيهنّ قسعاً إيلاجاً... فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً". ويعلّق على ذلك إنّ هذا النصّ الذي "يختزل المرأة في الفرج" ويختزل الرجل في الذكر أو أنّه "فقط زوج" والغاية هي "الاستمرارية في استنساخ الشكل" وتقول سجاح مع ذلك، وهي رأس قومها وقائدتهم وعقلهم المفكّر ونبيّتهم ورايتهم على العرب، والتي تمكّنت بقوّة شخصيّتها وتأثيرها من كسب أحياء انتشرت فيها النصرانيّة، حال سماعها

هذا النصّ "أشهد أنّك نبي" وإصرار الرواة ومؤرخي الإسلام على هذه الرواية الموضوعة قطعاً مثل رواية صفة "مسيلمة الكذّاب" الموضوعة أيضاً، ليس إصراراً على عدم احترام تدوين التاريخ والاستهانة بشخصيتين مؤثّرتين مثل مسلمة وسجاح وحسب بل أيضاً تعبّر عن عدم احترام واستهانة "اتّجاه القارئ المسلم والإصرار على اعتباره ساذجاً بلا عقل أوّلاً وتالياً.

ويقول المؤلّف جمال علي الحلاّق الذي يُكثر من المصادر أنّ مسلمة، وهو محور الكتاب الذي يقع في ١٩٠ صفحة من القطع الوسط وصادر عن منشورات الجمل، كان كما توحي مؤشّرات كاهناً انضمّ إلى الأحناف الذين منهم من دعى إلى "توحيد الأرباب في ربّ واحد" مثل زيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دعا إلى "توحيد الأديان والعيش ضمن منهج حياة واحد" مثل خالد بن سنان. والكاهن غير العرّاف الذي كانت رتبته أقلّ، والعرّاف "يعرف الأمور بمقدّمات أسباب يستدلّ بها وليس له رئي أو تابع أو شيطان، ويستخدم ذكاءه لاستنباط الحقائق، أي ينطلق من عند آياته ولا ينتظر تابعاً يملي عليه" وهو بذلك أقرب إلى الحكيم الذي هو المثقّف عند العرب ثقافة جامعة لشتّى الألوان، وأبعد ما يكون عن "المعرفة التي تنزل من السماء" وعلى العكس فإنّ "تجربة الحكيم المعرفيّة ترتقي من الأرض إلى السماء" فيما الكاهن تختلف آليّات اشتغاله كلياً فله من يعلّمه ويطلعه على الغيب مثل رئي أو تابع، أي يتّكئ على قوى خارجيّة لمعرفة المصير. و"النبوّة" إضافة معرفيّة "تحقّقت على مفهوم الكاهن، ولم تكن إضافة معرفيّة على مفهوم الحكيم" وأشتهر من العرّافين رباح عرّاف اليمامة والأبلق الأسدي عرّاف نجد، واشتهر من الحكماء المأمور الحارثي، واشتهر من الكهّانة شقّ وسطيح وعمران، وتدرّج مسلمة في الأحناف إلى أن صار مفهوم النبوّة أكثر تمثيلاً لليقين الأقصى في شبه جزيرة العرب، وصار مسلمة في مراتب صفاء النفس ليتحدّث في الغيبيّات، فأعلن نبوّته في عموم أمكنة تجواله وخصوصاً حيث يوجد حنفاء، وتبعته اليمامة وكانت تمثّل العروض التي تشمل الإحساء والبحرين وشبه جزيرة قطر، مثلما كانت صنعاء " لؤلؤة الساحل الجنوبي " تمثّل اليمن وهي التي ظهر فيها أحد الأحناف أيضاً وهو عبهلة العنسي متنبيّاً، والذي كان له ملاك يُدعى "ذو النون" يوحي إليه، وذاته اغتاله المسلمون في حياة الرسول الذي رغب بذلك لتطلق عليه المؤسّسة الإسلاميّة بعد ذلك إسم "الأسود العنسي" وهي تسمية "لا تخلو من تمييز عنصري" مثلما كانت مكّة تمثّل الحجاز. وسمّيت نواحي اليمامة موطن بني حنيفة بالعروض لاعتراضها بين نجد واليمن.

ودعا مسلمة إلى عبادة ربّ واحد أطلق عليه اسم "الرحمن" قبل نبوّة محمّد بن عبد الله(ص) الذي دعا إلى عبادة ربّ واحد هو "الله" وكانت نصوص مسلمة تُقرأ حتى على الأريوسيين، وهم أغلب نصارى الجزيرة الذين كانوا

يؤمنون أن المسيح رسول، أو هو "إنسان عادي تجلّت عظمته في أنّه نبي يوحى إليه من السماء".

وانجذب الأريوسيّون" الآريوسية) بالإنجليزية (Arianism :هي مذهب مسيحي وإحدى الطوائف التي لم يعد لها وجود في الوقت الراهن، تنسب إلى آريوس) حوالي(336 - 250)أحد كهنة الإسكندرية وتتمحور تعاليمها المختلفة عن سائر الطوائف في علاقة أقانيم الثالوث الأقدس ببعضها البعض"" إلى اعتقاد مسلمة أنّ الإنسان مخلوق على صورة ربّه وبالتالي فإنّ مسلمة كان أقرب إلى إله أو رب النبي عيسى بينما اقترب محمّد بن عبدالله(ص) أكثر إلى ربّ موسى خصوصاً بعد فتح مكّة وهو الربّ الذي "لا يعمل إلاّ بعدله ولا يتساهل في أقلّ الحدود الرسميّة التي أقرّها" وكانت القراءة شائعة عند عرب الجاهليّة، وأثبت الدكتور ناصر الدين الأسد أنّ "الكتابة كانت شائعة عند عرب الجاهليّة شيوعاً يكفي لأن ينفي عنهم ما ألحقه بهم تاريخنا الأدبي من وصمة الجهل والأميّة" كما قيل أيضاً أنّ اللحظة التاريخيّة للتحنّف عند العرب "كانت في جوهرها لحظة قراءة وكتابة". وأضاف مسلمة نبيّاً إلى صلاة الأحناف، وهي صلاة قبل طلوع الفجر وصلاة قبل غروبها، صلاةً ثالثة هي صلاة الظهر. ومثل قس بن ساعده الأيادي وأميّة بن أبي الصلت الثقفي كذلك مسلمة "لم ير وجوب التحريم في الاحتساء القليل المنظّم الذي لا يذهب بعقل المحتسي" على غير ما رأى زيد بن عمرو بن نفيل والنبي محمّد بن عبد الله(ص). وكما يذكر "تاريخ الرسل والملوك" فإنّ مسلمة كان "يعتمد المشاورة مع أصحابه" في كلّ شاردة وواردة حتى ظهر للمتابع كأنّ المتبوع هو التابع والتابع هو المتبوع، ولم يرد في كتب الأخبار أنّ مسلمة حارب قوماً أو غزا غزوة بل كان يسعى إلى التحالف ويؤثِر التأثير لإنتشار نفوذه ولنشر عبادة الرحمن على الفرض والسيف "وهو عين منهج النبي في مرحلته المكيّة عندما كان شعاره "لا إكراه في الدين" وهو منهج كان سائداً في شبه الجزيرة العربيّة فالتسامح شامل والكعبة المكرّمة ذاتها ضمّت كما في "أخبار مكّة" تماثيل للمسيح ومريم وصوراً لإبراهيم واسماعيل و"الدين كان أمر شخصيّ" والتدخّل في الشؤون الفرديّة لم يكن مستساغاً، وكان يهود ونصارى ومجوس في مكّة. ويُروى عن العاص بن وائل مجير عمر بن الخطّاب حين الأخير دخل في الإسلام قوله لقريش المتذمّرة: "رجل اختار لنفسه أمراً فما لكم وله"؟ وكانت قريش ذاتها من قبل وكما ورد في "حياة الصحابة" تطالب أبا بكر أن يواصل تعبّده "دون أن تسيء إلى الآخرين" ولكنّ مسلمة أُجبر أخيراً على خوض ثلاثة حروب دفاعيّة شنّها عليه المسلمون بعد وفاة الرسول إبّان ما عُرف باسم حروب الردّة. ويؤكّد المؤلّف، بمصادره، أنّ مسلمة بن حبيب الحنفي لم يلتحق بإسلام النبي محمد (ص) كي يرتدّ، مثلما يؤكّد أنّ حروب الردّة لم تكن سوى

حروب بين أطياف الحنفاء وشاءها الخليفة الأوّل أبو بكر "لإدخال العرب غير المسلمين في حظيرة الدين الجديد ولتأكيد منهج السيف كمنهج وحيد للانتشار بعد فتح مكّة". وحتى استُخدمت الإبادة كوسيلة بذريعة هي "لجوء بعض الأتباع إلى إتباع أنبياء آخرين بعد موت الرسول محمد ". وجاء في وصيّة أبي بكر لخالد ابن الوليد وقد توجّه لبني حنيفة بعد انتصاره على بني أسد وغطفان ما يشير إلى الحثّ على هذه الإبادة وقال له يوصيه: "فإذا لقيت القوم فأعدّ للأمور أقرانها، فإن أظفرك الله بهم فإيّاك والإبقاء عليهم، أجهز على جريحهم واطلب مدبرهم واحمل أسيرهم على السيف، وإيّاك أن تخالف أمري، والسلام" (مختصر سيرة الرسول: ١٨٦). ويورد الشيخ محمّد بن عبد الوهاب نقلاً عن الواقدي أثناء حديثه عن حرب خالد بن الوليد مع بني أسد أنّ خالداً "جمع الأسرى في الحظائر ثمّ أضرمها عليهم فاحترقوا أحياء".

خاض مسلمة ثلاثة حروب دفاعيّة شنّها عليه المسلمون، وانتصر في حربين، وكانت الأولى تحت راية عكرمة بن أبي جهل، والثانية تحت راية شرحبيل بن حسنة، والثالثة انتهت بمقتله في منطقة عكرماء تحت راية خالد ابن الوليد. ورثاه "بعض بني حنيفة" وهو "ابن الأكرمين أبا" قائلاً: " لهفي عليك... \ كم آية لك فيهم \ كالشمس تطلع من غمامة". وقام أخيراً عبدالله بن مسعود، خلال عهده في الكوفة، بإتلاف آخر نصوص مسلمة، وكانت متداولة سرّاً وهي "صحيفة معجبة فيها ذكر وحمد وثناء على الله" حيث "دعا بماء فغسل تلك الصحيفة". وتلاشت أخبار سجاح، من صفحات تاريخ المؤسسة الإسلامية ليظهر الإسلام، بعد القضاء المبرم على كافّة أطياف "الأحناف" الأخرى كأنّه "انطلاقة هائلة من فراغ".

جمال الحلاق في مؤلفه هذا تطرق في القسم الثاني في مبحثه الأول عن الرجل ونسبه ولقبه والتشويه الذي لقيه كما سبق ذكر البعض ، المصادر لدى المؤسسة الإسلامية زوجته ،أولاده ، سوى ذكر أنه له عقب بنت وهذه المسألة فيها نظر وابن قتيبة ذكر أنه لا عقب له لأن النسابة العرب لا يعدون البنت من العقب "لم يرد أنه لديه بنات رغم تزوجه بأكثر من امرأة، لم يبق شيء من قرآن مسلمة فيما يخص موضوع الزواج من تعاليم أو حتى عدد النساء ،ولم يذكر مؤرخي الدولة الإسلامية إلا تاريخ زواج مسلمة الحنفي بكبسة أو كبشه أو الأخرى سجاح التميمة ، وتطرق الحلاق إلى مكانة مسلمة بن حبيب بين قومه"كان رجلاً معظماً في قومه فقد ورد في حديث وفد بني حنيفة أنهم جاءوا إلى المدينة ومسلمة معهم يسترونه بالثياب تعظيماً له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه فهو صريح النسب وسلك مسلك التحنف" وقد سبق ذكر أن قلنا بحسب ما ذكر في الكتاب آمن بنبوته كل بني حنيفة وبني تميم ووردت رواية في هذا الكتاب الذي نحن بصدد قراءته أن العلاء الحضرمي لما وفد على النبي محمد

قرأ جزءاً من نص مسلمة الحنفي على أنه جزء من القرآن .قتل من أصحاب مسلمة الحنفي حوالي عشرة آلاف رجل كي يتمكنوا من الوصول إلى مسلمة لقتله فهل هذا يعني أن الرجل كما زعم مؤرخو الدولة الإسلامية أنه شؤم، لقد حاول الكاتب في المبحث الثالث من القسم الثاني عنونه محاولات سابقة في إنصاف مسلمة الحنفي قراءة متأنية لرواية أبي العلاء المعري أنه كذب أحد الصحابة ضمنياً وقراءة متأنية لم يتهم مسلمة بالكذب و اكتفى بتسميته مسيلمة الحنفي ،"شكك في صدق وصحة الخبر عندما قال وفي الحكاية إن كانت صادقة "إشارة للتلفيق شكك في رد عمرو على مسلمة وأن الخبر يدل على أن الصحابة كانوا يمرون بمسلمة ويسمعون منه ،وأشار إلى أن الرصافي أحد الذين انتقصوا مسلمة بينما جواد علي جمع عنه حوالي سبعةعشر١٧صفحة ، حسين مروة تحدث عن الارتباط الواقعي بين الإسلام والحنيفية بوصفها تياراً دينياً فكرياً ظهر في منطقة زراعية "اليمامة "وصار له مبشرون في المناطق المستقرة في الجزيرة ومن مكة ذاتها بالأخص (مروة النزعات المادية ،٣٨٢)حاول أن يكون حيادياً . ذكر الحلاق كذلك في كتابه في القسم الثاني في المبحث الرابع في النبوة وعرج على جدلية الكاهن والحكيم ،عقول العرب قبل الإسلام كانت تجنح إلى رأي الحكماء ، حيث أن مفهوم النبوة لم تكن إضافة معرفية على مفهوم الكاهن عند العرب .فالعرب كانوا إلى مفهوم الحكيم أقرب منهم لمفهوم النبي و العراف بذرة النبي والإضافة هي أن النبي لا ينطق عن الهوى وأن كلامه يبقى خالص غير منسوب بشك ولكن كل من أتى بعد محمد(ص) ليس بنبي لأنه لا نبي بعده ، قد يكون فقيه ، عالم ، حبر ، تحدث الحلاق في مؤلفه عن الفرق بين النبيء والنبي . فالنبيء: هي النبأ والنبأ هو الخبر. وعليه فالنبي فعيل أي أخبر واعتقد أن كلمة نبيء كانت تطلق على الكاهن /المخبر عندما يصدق في تحدثه عن الغيب وإسقاط الهمزة فيما بعد محاولة الفصل بين النبي عن الكاهن ، وأشار الحلاق إلى العمق التاريخي لمفهوم النبوة عند العرب والنبي يختلف جذرياً عن مفهوم الحكيم، ما يهم هنا هو الرغبة في التغيير الاجتماعي لدى هؤلاء الأنبياء وأنهم في النهاية من أجل تحقيق التغيير "خاطبوا الناس على قدر عقولهم ". في مبحثه الخامس تحدث عن علاقة مسلمة بمحمد في مكة .أظهر الحلاق في مؤلفه هذا أخبار غامضة ولقاءات تم إخفاؤها ولكنه قد يفيد في كشف التاريخ الخفي ولكن رسالة مسلمة "لنا نصف ولقريش نصف الأرض إلا أن قريش قوم يعتدون "هذه الرسالة تدل على نصف الأرض لمسلمة زراعي بينما لمحمد نصف رعوي هناك غموض هناك خبر أورده ابن هشام مفاده "أن قريش عزت علم محمد إلى تعلمه على يد رجل من اليمامة يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبداً(ابن هشام :٣٣٢/١) خبر اللقاء للتعلم ليس عابر وكذلك إذا كان محمد ذهب إليهم وهو احتمال وارد أن

محمدا أتى بني حنيفة في منازلهم وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم (ابن هشام/٦٦/٢)لأنه أتى من بيئة الرعي ، ما علاقة نمو وعي محمد بظهور مسلمة الحنفي ؟هناك الكثير الذي كشفه للقراء هذا المؤلف جمال الحلاق سورة الرحمن وبعض من النتف الأخرى وتوصل المؤلف في كتابه أن محمد هاجر إلى يثرب وهو على تحالف مع مسلمة الحنفي . وتحدث أيضا في كتابه عن علاقة مسلمة بمحمد في المدينة ، هناك خلاف بين الرواة في مكان اللقاء وأخبار فيها ضبابية مسلمة يلتقي محمد، ومحمد يلتقي مسلمه وأتباع محمد يلتقون مسلمة وأتباع مسلمة يلتقون محمد، تحدث عن ما بقي من نتف حول قرآن مسلمة وتطرق إلى بعض تعاليمه في الحج والمرأة والجزية وعمل قراءة فيما تبقى منه وتحدث عن تعاليم مسلمة أيضاً وعملية الاعتقاد.

ونخلص إلى القول أن جمال الحلاق في مؤلفه هذا اجتهد في مؤلفه هذا ووضح وتطرق إلى موضوع مهم جدا في التاريخ الممنوع أو المحرم وهو عبارة عن مقاربة من كنه التكالب الجمعي لنبذ مسلمة بن حبيب وفي السياق ذاته توضيح لما طمس عن سيرة الرجل وإعادة النظر فيما روي عن سيرة الرجل بجمل قصيرة مبثوثه وأخبار ضبابية ومثل تلك الأفكار التي من الصعب على ذهنية البسطاء إدراكها رغم أنه في بعض ما كتبه ربما أن فيه نظر لكن ورغم ذلك تظل مساهمة في التنفس على الرأي الآخر وثقب صغير يقتدى به في الكتابة في الكثير من المواضيع التي تحمل في طيات كتب التراث الإسلامي والتي تحتاج إلى تصحيحها بشبه موضوعية .